قادرة على الوقوف أمامها . وهذه المجموعة المترابطة من العناصر هي مطامع فرنسا ، والمصالح الامبراطورية البريطانية ، والمطامع الصهيونية ، وخليط من الرومنطيقية والرياء لدى السياسيين البريطانيين النافذين .

وتظهر القراءة الدقيقة لمراسلات مكماهون ان مطالب فرنسا في سوريا كانت وراء التحفظ البريطاني الرئيسي حول الحدود الاقليمية التي وردت في مقترحات الشريف حسين ، اذ سرعان ما تبين ان فرنسا قد طالبت بأن تشمل منطقة نفوذها سوريا الجغرافية بكاملها بما فيها لبنان وفلسطين . ولكن بريطانيا التي كانت تتحمل ، عندئذ ، العبء الرئيسي في محاربة تركيا في العراق وجنوب سوريا ، كما كانت لديهـا بعض المخططات للاحتفاظ بوضع خاص في العراق ، سرعان ما تحولت عن موقف اللامبالاة وعدم الاكتراث الى الرغبة العارمة في تأمين منفذ الى خليج عكا على البحر المتوسط وممر أرضي اليه .

وكان لكل من روسيا وفرنسا مصالح دينية وثقافية في فلسطين . وهذه الوقائع والمطالب الشاذة هي علة البنود الشاذة لاتفاقية سايكس ــ بيكو التي قضت ، بعد اشباع مطالب روسيا الاقليمية في جهة أخرى من تركيا ، بتقسيم الولايات العربية في العراق وسوريا الكبرى بين بريطانيا وفرنسا وأبقت فلسطين جانبا لنظام دولي يقام فيها بعد اجـراء مشاورات بشأنه بين الحلفاء وشريف مكة . ويدل هذا البند الاخـير على أن المصالح الدينية المسيحية والاسلامية وحدهما اعتبرتا جديرتين بالبحث .

وقد اصطدمت تطلعات الصهيونيين بعنصرين ، على الاقل ، من عناصر تركيبة المصالح هذه ، وهما المصالح العربية والفرنسية ، الى جانب المصالح الروسية قبل الثورة . وقد كان الصهيونيون على درجة كبيرة من الدهاء عندما سعوا الى التحالف مع أقل هذه العناصر المتصارعة تشددا وهم البريطانيون ، فاتجهوا ، بناء على ذلك ، الى التحالف مع المصالح الامبراطورية البريطانية التي كانت فلسطين تسيل لعابها كقاعدة ضرورية لحماية قناة السويس والدفاع عنها . وقد كان الصهيونيون يدركون أنهم يواجهون ، في مسعاهم للحصول على اعتراف بريطاني بانشاء وطن يهودي او دولة يهودية في فلسطين ، معارضة شديدة ومنافسين أقوياء ، ولكنهم جازفوا بتجاهل هذه جميعها . وكانت أعظم مقامرة أقدموا عليها هي تجاهلهم الصارخ لواقع الاشياء ، بغض النظر عما تقرره الدول العظمى مجتمعة أو منفردة ، وهو أن الغالبية الساحقة من سكان فلسطين هم مـن العرب المسيحيين والمسلمين الذين تغور جذورهم الدينية والثقافية والقومية عميقا في تربة البلاد ، وعلى مدى قرون عديدة ليس منذ الفتح العربي فحسب ، بل قبله بزمن بعيد .

ولسنا هنا في معرض سرد الملابسات التي جعلت الصهيونيين يفلحون ، رغم كل هذه الظروف والأوضاع المناقضة لجوهر تطلعاتهم ، في اقناع كبار الساسة البريطانيين بمزايا التحالف البريطاني ــ الصهيوني . ونكتفي في هذه العجالة بالقـول انه اثر نجـاح الصهيونيين في كسب رئيس الوزراء لويد جورج ووزير الخارجية بلفور الى جانبهم أطلقت يدا السير مارك سايكس ، الرومنطيقي الساخر وأحد واضعي اتفاقية سايكس ــ بيكو ، في اجراء الترتيبات لوضع فكرة الصهيونيين وخطتهم موضع التطبيق . وقد أشار عليه لويد جورج نفسه ان يعمل نحو « فلسطين بريطانية » ، وأن يقوم بالتوفيق بين مآرب الصهيونيين وتطلعات كل من فرنسا والفاتيكان .

[٣]

عندما أصدرت الحكومة البريطانية ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ، وعد بلفور الشهير والذي يعرب عن عطفها على فكرة تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين كان نصف البلاد ما زال في ظل السيادة العثمانية **واقعيا وقانونيـا** . وكذلك ، ان وعـد